المشروع الحضارى الاسلامى (*)

فهمى هويدى

د. حامد عمار :

فى هذه الليلة المباركة نبدأ ندوتنا بسم الله الرحمن الرحيم ، ونرحب بأسم رابطة التربية الحديثة وبأسمكم بضيفنا الكبير وأستاذنا العزيز الأستاذ فهمى هويدى ، وما أظنكم فى حاجة منى لأن أعرفكم به وانما أريد أن أعرفكم بما وقر فى عقلى ووجدانى من تقدير للأستاذ فهمى هويدى فأنا دائما أعتبره كاتبا ومفكرا مجتهدا وأريد أن أشدد على كلمة مجتهد ، فهو مجتهد المعنيين :

الأول : أنه كاتب مفكر يحيط بالقضية التى يريد أن يطرحها ، يحيط بها احاطة من مختلف الجوانب ، يوثقها ويؤصلها ويبحث فى ذلك ويجتهد .

والمعنى الثانى بالنسبة لاجتهاد أستاذنا فهمى هويدى ، هو أنه مفكر يفتح أمام قارئه آفاقا جديدة ومسارات جديدة ، وفى هذا الفتح يكشف كثيرا من زيف الواقع ، ومثل هذا الاجتهاد فى الواقع هو تحدى لكل مفكر وهو الذى ينبغى أن نسعى جميعا لأن نحاول أن نشق طريق هذا الاجتهاد ، ولا أخفى أن هذا النوع من الاجتهاد مطلوب جدا فى مجالنا « مجال التربية » .

وعلاقتى بالأستاذ فهمى هويدى تعود الى أوائل الخمسينات ٥٣/ ١٩٥٤ حين كان فى هذا الوقت صحفيا وكنت فى ذلك الوقت قد عدت من انجلترا ، وقد كتبت رسالة عن القرية المصرية ، وكان فى ذلك الوقت موضوع تطوير القرية واصلاحها من القضايا التى تشغل الفكر والسياسة العامة فى مصر فأتصل بى من الأهرام ...

(*) ندوة رابطة التربية الحديثة الجمعة ١٩٩٥/٢/٢٤ .

وأذكر أن اتحاد المصورين قد أخذوا صورتى ، فظهرت صورتى فى الأهرام لأول مرة بطبيعة الحال وأن رسالتى سوف توضع تحت الصورة ، وسررت بالتحقيق الذى اجراه الأستاذ فهمى هويدى . ومنذ ذلك الوقت وأتصل حبل المودة بيننا وتابعت الأستاذ فهمى هويدى باجتهاداته .

وبطبيعة الحال المجتهد قد يتفق معه اتفاقا كليا وقد نتفق معه اتفاقا جزئيا ، وقد نتفق فى بعض الحالات ونختلف فى البعض الآخر وقد نتفق معه أحيانا ونختلف معه أحيانا أخرى ، فالاجتهاد علامة مميزة للأستاذ فهمى هويدى ، وسوف يعرض لنا فى هذه الأمسية رؤيته لمشروع حضارى لمصر وللأمة العربية وقد يمتد الى أقطار العالم الاسلامى .

وكما تعلمون حضراتكم نحن نعيش فى حقبة زمنية مهزومة ومخنوقة ، فمصيرنا وهويتنا فى حالة من الرجرجة والقلق وسنظل فى حاجة ماسة الى أن نستمع الى مفكرينا وتوجهاتهم المختلفة .

وأذكر فى سياق التصور المهزوم لواقعنا حديث شريف ينطبق على هذا الواقع الذى نعايشه وهو يقول ما معناه .

« توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على أصحابها لا من قلة يومئذ بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء .... ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة » .

واذا كان لحديث الرسول ﷺ مغازيه ورموزه الدينية فان له فى نفس الوقت رموزه ومغازيه الدنياوية التى نكابدها من كل ما يتصل بحب الدنيا الذى ينجم عنه كل ما نعانيه من قهر وفساد وتكالب الأمم علينا وفقدان المهابة منا حتى أصدقاءنا بل أكاد أقول حتى أشقاءنا ، ففى هذا السياق والموضوع لا اريد أن اطيل على حضراتكم وانما سوف أترك الميكرفون للكاتب الكبير الصديق العزيز الأستاذ فهمى هويدى .

فهمى هويدى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أيها الأخوة والأخوات شكرا لكم جميعا وشكرا لأستاذى وأخى الكبير الأستاذ الدكتور «عمار» الذى قدمنى بأكثر

مما استحق ، وطوف بى وبكم فى عقود أربعة مضـــت ، ثم امتعنا بما تمنيت أن يكمله ، ولكن أما وقد أحال لى الكلمة فأننى أود أن أقول فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده « المشروع الحضارى الاسلامى » ، أننى عندما أتصل بى أخى الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل ليدعونى الى هـذا اللقاء الذى أتشرف به ، كنا نتداول فيما يمكن أن يطرح للمناقشة . كنت أنا صاحب الاقتراح الذى يدعو الى مناقشة المشروع الحضارى الاسلامى ليس لأن عندى ما أريد أن أقوله فقط ولكن بالدقة لأن عندى ما أريد أن أصوبه وأناقشه مع نخبة كتلك التى نلتصق معها هذه الليلة ، لأن قضية المشروع ستظل احدى الهواجس الأساسية التى تشغل فكرنا فى هذه المرحلة التى غابت منها أشياء كثيرة ، حتى أننى وصفتها فى عدة مرات بأنها مرحلة « اللامشروع » حيث ليس معروفا بالضبط نحن مع ماذا ؟ أو ضد ماذا ؟ وفى أشياء من الأشياء الصغيرة الى الأشياء الكبـــيرة فى حياتنا الثقافية والسياسية .

أظن أنى لست بحاجة الى أن استدعى انتباه حضراتكم الى أن كل أمة وكل مجتمع لابد أن يكون له مشروع،بمعنى رؤية استراتيجية ـ نموذج حضارى يريد أن يستلهمه ويفتدى به ويحقق له طموحاته ، ولا أحد يستطيع أن يصوغ مشروعا حضاريا . هـــذه مسألة تفوق طاقة الانسان يستطيع الواحد أن يكتب عن المشروع ، لكن مشروع الأمة هو أن يستلهم ضميرها وتراثها وخـــبراتها وثقافتها واسهامات مثقفيها ، ثم هذا كله فى نهاية المطاف يتبلور برؤية تظل معبرة عن الضمير والطموح ، ومن ثم لا استطيع أن أصف ما عندى بأنه كلام حول مشروع حضارى بقدر ما هو كلام منصب على خصائص المشروع وهى بكل تأكيـــد قابلة للمناقشة أو ينبغى أن تكون قابلة للمناقشة .

اذا أردنا أن نعـرف المشروع الاســـلامى الذى أريد أن نناقشه مع حضراتكم، هو باختصار يظل مشروعا للنهضة له مرجعيته التى تستلهم قيم الاسلام ومقاصده كما هى مقررة فى الكتاب والسنة وينطلق من الضمير الايمانى للأمة لينتهى محققا سعادة الناس جميعا باختلاف ديانتهم ، وانطلاقا من هذه المرجعية يكون هدف المشروع هو تحقيق السعادة للناس

وتحقيق العمران للأرض ، والآية القرآنية التى تقول « قد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الذى هو العدل الذى تقوم به الأرض ، كل الرسل وكل الكتب جوهر الكتاب السماوى هو اقامة العدل ، كيف يمكن أن يتحقق هذا ؟

أنا أقول أن العناصر التى يمكن أن تدور حول هذا المحور الأساسى فيما يمكن أن يسمى بالمشروع تنطلق من أو يمكن حصرها لا أقول حصرها بدقة بل ترتيبها فى حوالى ١٥ نقطة ، أنا أيضا بأدعو للتفكير فيها باعتبارها مواصفات لمشروع نهضة لهذه الأمة ٠

النقطة الأولى : أنه مشروع توحيدى ، يؤمن بأن الله خالق الكون، وأن كل المخلوقات من الكائنات لها حقوق ، وأن هذه الكائنات تتعبد لله وتسبح له ، معنى أن نتكلم على حقوق الانسان عندما أقول لبعض الباحثين الغربيين أننا عندنا شىء اسمه الحيوان والحيوان له حق والاحاديث النبوية التى تحدثت عنه : أمرأة دخلت النار فى قطة عذبتها ، وأن بغية غفر لها لأنها سقت كلبا ، وأن وأن ٠٠٠٠ وأن خليفة المسلمين عندما يرسل الى والى مصر يلفت نظره الى أن الدواب تحمل فوق طاقتها فهو لم يكن يدافع عن الدواب ، ولكنه كان يستشعر مسئوليته تجاه كائنات ، الشجر له حقوق والبيئة ، سيدنا أبو بكر ينهى جيش المسلمين عن اقتلاع الشجر ، هذه كائنات ، الاحاديث النبوية ، أن عصفورا يشكو الناس ، يشكو رجلا يوم القيامة لأنه عذبه ، اذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، لا يرى الانسان وحيدا فى الكون ، ولكنه يرى الكون كله باعتباره مخلوقا لله تعالى بكل مكوناته وعناصره ، وهذه العناصر والمكونات لها حقوق واجبة الاحترام ، الرؤية التوحيدية للكون ٠

النقطة الثانية : أن الدين ليس معزولا عن الحياة ولكنه داخل فى نسيج الحياة كلها ، فى كل شىء تتواجد قيم الدين عندما يقال أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، هنا عبادة وسلوك ، ولا تأكلوا أموال الناس بالباطل ، فكرة أن قيم الدين حاكمة لمختلف نواحى الحياة وموجودة ويسترشد بها الناس حيث يتحركون ٠

النقطة الثالثة : أن الانسان فى هذا المشروع مخلوق مكلف « أفحسبتم أنا خلقناكم عبثا٠٠وأنكم الينا لاترجعون»فهو مخلوق مكلف له رسالة مختلفة عن هدف المتعة والأستمتاع ٠ نعم هو يستمتع بالحلال ، ولكن يظل الهدف أبعد من هذا بكثير ، وبالتالى كونه مخلوقا مكلفا وله رسالة ومستخلفا عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض ، فهو فى هذا المقام عليه واجب اعمار الأرض ، أن الله عندما خلق الناس واستخلفهم فى الأرض سخر لهم الكون السماء والأرض ، فيه شىء له مقام رفيع ، وفكرة أن الانسان هو مخلوق الله المختار مختلفة عن فكرة شعب الله المختار ، أن الله سبحانه وتعالى خلقه وكرمه ونفخ فيه من روحه وعدله وسواه،حتى الشيخ الغزالى عندما يتكلم عن الانسان يقول : فيه نسب الهى،ولا تخلو هذه الاشارة من دقة وصواب لأنه هنا كائن له مقامه الكبير عند الله سبحانه وتعالى ٠

وهذا ينقلنا الى **النقطة الرابعة :** وهى أن الانسان له كرامته ، ولقد كرمنا بنى آدم لمجرد كونه انسانا بصرف النظر عن دينه ٠ ثم النقطة **الخامسة** أن البشر كلهم أسرة واحدة خلقوا من نفس واحدة وأن آباهم واحد ، فيه هنا وشيجة انسانية تربط الجنس البشرى ، فعلاقة الانسان بالانسان فيها وشيجة قائمة لا يمكن هتكها أو الاعتداء عليها ٠

فى هذا الاطار **النقطة السادسة :** أن الاختلاف بين الناس هو سنة من سنن الله تعالى ، سبحان الله أراد الناس مختلفين لحكمة قدرها ، ومن ثم فالاختلاف له بعد عقيدى وفكر الآخر وبما يثار حولها من جدل ولغط لا أحسبها واردة فى مفهوم العقيدة ، لأن الآخر عندما أدرك أنا أنه يختلف عنى فى كل شىء أو فى شىء هو من حكم الله أو سنة من سنن الكون فهذا ينزع عن نفسى كثيرا من الحساسية التى يستشعرها كثيرون الآية « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة٠ولا يزالون مختلفين٠ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ٠ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» أنا زعلان ليه ؟ الله أراد أن يختلف الاخرون «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » هذه الآيات الشهيرة ٠

النقطة السابعة : أن الآخر له شرعيته ، وهى متصلة بالنقطة السابقة ، اذا كان الاختلاف هو سنة من سنن الله ، يكون للآخر

شرعيته ولابد أن يصوغ الواقع أو الاطار السياسى والفكرى ، كيفية تنظيم العلاقة باعتبار أنه لا يستنكر الآخر لمجرد المغايرة ٠

النقطة الثامنة : أن الحقوق والواجبات لها عمق عقيدى ، بمعنى عندما نتحدث عن حقوق الانسان من وجهة النظـــر الايمانية هى فى حقيقة الأمر تكاليف وهى من حقوق الله سبحانه وتعالى ٠ طبعا مصطلح جديد ٠حقوق الانسان فى القرن الثامن عشر ، لكن فقهاء زمان كانوا يقولون حقوق الله ، حقوق العباد كل ما أتصل بحقوق مجموع المسلمين أو من حقوق الأمة هو من حقوق الله ، حقوق الأفراد وبتختلف ، ومن هنـــا فالحقوق لها بعد عقيدى تتحول فى وجه الآخر الى تكاليف وواجبات ٠

النقطة التاسعة : أن الاسلام فى المشروع ليس دينا فقط ، لكنه ثقافة وحضارة ، ولهذا أنا أحيانا أتردد فى القول مشروع اســـلامى خشية أن يفهم البعض أنه شأن يخص المسلمين وحدهم ٠ والذين يتابعونما اكتب ربما يتذكرون أننى تحدثت فى هذه النقطة ٠ قبل أسابيع أشرت فى مقال حول ٠٠٠ الدين الحضارى أن الأمر هو عقيدة بالنســـبة للمسلمين أما بالنسبة للآخرين فهو ثقافة وحضـــــارة ووعاء للقيم ، ومن هنا فالأمر لا يخص المسلمين وحدهم ولا يخص المتدينين وحدهم ، الصحيفة التى حررها النبى عند هجرته من مكة الى المدينة كانت صحيفة يعتبرها بعض الكتاب أنها أول دستور تمت صياغته ٠ وثيقة تحدد علاقة علاقة المسلمين بالمشركين وباليهود وبالنصارى ، كان اليهود أكثر فى ذلك الحين ، لكن كل من تواجد فى المجتمع كان طرفا فى هذه الوثيقة فالأمر يتجاوز حدود العقيدة الى حدود الثقافة والحضارة ٠

النقطة العاشرة : أنه بناء على فهم الاســـلام باعتبـــاره مشروعا حضاريا وثقافيا للمسلمين والأمة ، ليست هناك مفاضـلة بين النـــاس على أساس الدين ولكن معيار المفاضلة هو العمل الصالح والتقوى ٠

النقطة الحادية عشر : أن قيم الدين تستلهم فى تيسير المجتمع لكن الحساب على اعتقاد شأنه يتولاه الله والآيات « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ٠ فان اعرضوا فما أرسالناك عليهم حفيظا ٠ أن عليـك الا البلاغ » صدق الله العظيم هذه الآيات تحيل الحساب على الاعتقاد

الى الله تعالى وكثيرا ما يحاول بعض أخواننا الذين يثيرون مسألة الاعتقاد ويزجون بها فى كثير من المناسبات اذا كنا نريد أن نحاسب الناس على عقائدهم فى الدنيا فعلى ماذا سيحاسبهم الله يوم القيامة ، اتركو حساب العقيدة لله سبحانه وتعالى ، ولنحتكم فى الدنيا الى أفعال الناس وآدائهم ، أما ضمائرهم فأمر محال الى الله .

النقطة الثانية عشر: ان الشريعة منفصلة عن السلطة،فهناك أمور فى التكاليف تؤدى فى كل الأحوال لا علاقة لها بالنظام السياسى ، أفصل فى هذه النقطة أنه عندما تكون الشريعة فوق السلطة وفوق القانون يفترض فى هذه الحالة أن القانون يستلهم الشريعة ، يستلهم مقاصده فى نهاية المطاف ، لكن انفصال الشريعة عن السلطة لا يجعل للسلطان اليد الطولى فى ملاحقة كل شىء فى المجتمع ، مثلها الزكاة تؤدى ، السلطة قبلت ما قبلت أم لا ؟ ، فيه تكليف . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذا تكليف الهى ليس لأحد أن يتدخل فيه أما أن توضع الأمور فى اطارها الصحيح فهذا موضوع آخر ، أنا أتكلم عن التكليف اذا كان هذه الأمور يستطيع أن يستمر بها المجتمع أيا كان وضع السلطة .

النقطة الثالثة عشر : أن المال مال الله والناس مستخلفون فيه وللجميع فيه حق ، « وانفقوا من مال الله الذىأتاكم . وأتوه من مال الله الذى أتاكم ، وفى أموالكم حق للسائلوالمحروم»، فثروة الأمة ليست ملكا لأحد ولكن الناس ينتفعون بها وما يؤدى هو حقوق الناس وليس تبرعات أو احسان .

النقطة الرابعة عشر : للمجتمع سقف أخلاقى مرتبط بعدد من الفضائل التى تلزم بها الأمة فمارس ما شئت من حرية التعبير والتقدير والتقرير ولكن عندما يتعلق بالأخلاق والفضائل فهذا سقف لا ينبغى أن يترك .

النقطة الأخيرة : هى حق الناس فى مقاومة الظلم . هذه مسألة لا يستطيع أحد أن ينكرها ، لأن هناك نصوصا قرآنية تحاسب الناس على استسلامهم للظلم فللناس حق فى التصدى للظالم ، وهذا حق مستمد من

اللـــه وليس لأحد أن يصده أو يعوقه ٠

هذه هى المواصفات فأنا أوجزت لأنى أريد أن اسمع وجهات النظر لكنى أريد أن اضيف نقطة أخيرة فى فكرة الرؤية الاسلامية فى التطبيق بنقرأ الكثير أن هذه الرؤية تتطلب أن كل ينقلب الى أبيض وأسود فى ٢٤ ساعة وأن الناس سينقلبون وليس هناك تدرج ، التدرج جاء فى التنفيذ وليس فى التشريع ، أنا أريد أن أوكد أن هناك مجموعة الضوابط٠أذكر بها وأنا على يقين من أن بعض الأساتذة على علم بها ٠